صداقة النساء

كتاب اخلاقي اجتماعي عربناه عن الانكليزية لننشره تباعاً في الحسنا

تابع صفحة ٦٠

على اتمام وظيفته المعينة له ولكي تتم المرأة وظيفتها ايضاً ينبغي ان تحتك بالجنس المقابل لجنسها وهذا ما يكنى عنه بالنقر او الدق او الضرب

وسبب عدم بلوغ صداقة المرأة ووداده الى درجة مرضية كافيـة ، الى درجة الانتشار والشيوع هو ان من غايات المرأة الجوهرية شدة الحب فاذا رسخت هذه العاطفة في قلبها امتلكت القلب كله ولم تدع فيه مجالاً للعواطف الاخرى كالصداقة والوداد وغيرهما قال لابرويار — ان الرجال سبب ضعف الصداقة عند النساء لكون المرأة تهوى الرجل وتسلمه كل قلبها بحيث تصبح غير قادرة ان تودّ احداً غيره لا من بنات جنسها ولا من ابنـاء جنسه » فالزوج والاولاد يملكون قلب الزوجة او الام ويمنعونها عن حب الغير . فالزواج اذاً قبر تدفن فيه عواطف عديدة منها الصداقة لغير اهل البيت والمعنى ان الزوج لا يعود الى حب احد غير زوجته ولا امرأة تسعى الى استهوائه واستمالته اليهـا لكونه قد احب غيرها واقترن بها . والزواج علة هذا الانفصال

قال الرسول بطرس « رأس المرأة هو الرجل » فاصبح محالاً وضع راسين لجسد واحد

وحياة الرجال ما هي الا تنهدات الطبيعة وحياة النساء هي اصداء تلك التنهدات

قال ريتشتر — ان المرأة لا تطلب ان ترى نفسها في غيرها ولا ترغب في ان تطابـ آخر مثلها بل تودّ ان ترى غير نفسها وآخر غيرها » هذا القول يظهر الفرق بين الحب والصداقة . فالصداقة هي انعكاس النفوس على بعضهـا والحب انعكاس النفوس المتبادل بواسطة شخصين فيـد كل منهما نقائص الآخر . فالحب اذاً اكثر من صداقة واعمّ والاكبر يسع الاصغر . الرجل الذي من طبيعته الاعتماد على النفس يرغب في ان يرى نفسه في غيره اي ان يؤثر في الناس فيحملهم على تقليده والتمسك باخلاقه وعاداته وصفاته اما المرأة التي من شأنها اللطف والاعتماد على الغير فترغب في ان ترى نفس غيرها فيها اي ان تقلد غيرها فتصير مثله

فالحذار اذاً من القول ان المرأة ليست اهلاً للصداقة كالرجل او انها لا تمكن من تكوين الصداقة مثله انما اذا اعتقدنا ان المرأة لا تكتفي من الصداقة بقليل كما يفعل الرجل فهذا امرٌ مسلم به فهي تطلب الصداقة كما يطلبها هو ايضاً ولكنها لا تكتفي بما يكفيه هو فتطلب ما يطلبه وزيادة وصفحات التاريخ مملوءة بالاخبار عن هذه الزيادة الا وهو ما تكابده المرأة من التألم وتضحية الذات والتعب الذي تعانيه في سبيل الحب

من بعض الاقوال المشهورة لروشفوكلد « ان المرأة بعد ان تذوق لذة الحب لا تعود تشعر بطعم الصداقة فترى ان الصداقة لا طعم لها » وكان الاولى به ان يحصر قوله هذا في بعض النساء ولا يشمل الكل

قالت جاين اوستين المشهورة بمعرفتها ما تكنه قلوب النساء « ان الصداقة خير بلسم لجرح القلب المصدود الخائب في الحب

المرأة اكثر احساساً وادق شعوراً من الرجل وهي كأرق مقاييس الكهربائية تدرك عواطف الشفقة مهما كانت دقيقة ورقيقة فزية كهذه تجعلها تأتي وتبصر

في الامور فتستحسن الشريف السامي الحسن وتستقبح الخسيس الدنيء القبيح . ومزاج المرأة وبنيتها الطف تركيباً من مزاج الرجل وبنيته واعصابها اكثر عدداً واشد نحافة من اعصابه فهي اذاً تدرك بسهولة اموراً لا يتمكن هو من ادراكها لما سبق ذكره فهو كله راسٌ وهي كلها نبات هو يلد عقله افكاراً وافكاره اشعارات عقله وهي يلد جسدها شعوراً وشعورها افكار جسدها

قال دوني بمعناه — سرى الدم النقي الصرف في خدودها المتوردة فكان كأنه خطيب فصيح فسَّر وعبَّر عما دار في خلد ذلك الجسد »

المختبر والمحنك يرى اشياء كثيرة لا يراها غيره ولذلك مهما اجتهدنا لا نقدر ان نخفي شيئاً عن عين المرأة الحادة لانها ترى جيداً لاختبارها العظيم . وهي مشهورة لقراءتها اللغة الفيسيولوجية لغة النغمة والاشارة والملامح والعلامات الدالة على معانٍ محدودة فتجعل الجسد ترجمان النفس

تنظر الى عيني الرجل فتراه يتأمل ويفتكر تصغي الى صوته فتراه يشعر . وجميع هذه المزايا تساعدها على تمكين الصداقة والوداد . وهذه المنحة منحة الملاحظة السريعة والدقيقة مع الشفقة تجعل ودادها ثميناً يتمتع به الرجل الطالب الكمال والعظمة . وقلَّ من امتاز وسما مقامه بدون ان تنشطه او تسليه او تحترمه امرأة اتخذت كل الوسائط لرفعة شأنه واعلاء مقامه

كتب شاب اميركاني اسمه نيهور وهو في بريطانيا الى مدام هنسلر زوجة استاذ شهير تعرَّف به في احدى الكليات — سرني كتابك لدرجة انني صرت احب كل مخلوق في العالم)

جيرالد غريفين المشهور بقساوة قلبه وجفائه وشراسته استمال الى حمل وديع بلطافة وبشاشة سيدة اسمها مسز جون فوستر واخذ يتودد الى كثيرات

من اللواتي اظهرن له مساعدة وتنشيطاً وارسل عدة تحارير اليهن ومما كتبه لبعضهن ما ياتي = انني انتقل من حمأة الحماقة المكروهة لاتنعم في صافي نبع العواطف الشريفة هنا اعوم واغطس وامرح بفرح وبهجة كما تفرح سمكة القتها يد الحنان واللطف في عالمها المائي بعد ان صرفت برهة في معزل عنه وهذه اليد الحنونة التي القتني الى عالم العواطف السامية هي يد مسز فوستر ومن اصعب الامور عليّ ان اصف السحر المكلل وجهها الجميل . قلبي وعقلي يعظمانو يبتهجان حينما اكون بقربها وكل مصادر عواطفي و ينابيع شعوري تجري حينما اجتمع بها»

شعور المرأة الحاد ونظرها الدقيق واحساسها الغريب يقودها في سبيل الصداقة احياناً الى مصاعب واهوال عظيمة فهي تانف الجمود والدنايا لان النفس الملتهبة شرفاً وطهارة تكره كل الكره الجمود (عدم الاحساس والشعور) والتصنع والتكلف او الحب الكاذب والمقصود ان طبيعة المرأة الشريفة الحرة تانف من عدم اظهار العواطف السامية وتكره التظاهر بالحب وكل علامة من علامات الحب الكاذب . فهي لا تودّ الخامل الجامد ولا ترتاح اليه كما ان الجواد العربي الاصيل لا يجد لذة في سيره مع السلحفات البطيئة والنفس التي حركاتها موسيقية منظمة لا تمتزج مع نفس حركاتها زوايا غير قانونية (هي استعارات هندسية تفيد التشويش والترتيب) وبما ان المرأة اكثر احساساً من الرجل فهي اكثر تقلباً اذ اخفّ هزة تكفي لتزعزع احوالها فتقلبها من حال الفرح والسرور الى حال الحزن والكدر ولذا فقد اضحت اشد الناس انتقاداً على الرجل . فهفوته الصغيرة تحسبها جريمة كبيرة وما يرتاح اليه ربما لا تطيقه

البقية صفحة ٣٥١